الأهرام

المصدر: الخليج

التاريخ : ١٦ فبراير ٢٠٠٥

اغتيالات عديدة لرفيق واحد

لم تستهدف المائة وخمسون كيلوغراما من المتفجرات رفيق الحريري بقدر ما استهدفت لبنان الذي لا يزال يحصي ضحايا حرب اهلية قضمت الاخضر وأشعلت النار في اليابس حتى اوشك ان يأتي على كل شيء.. وان كان الكلام في معظمه ينصرف الآن الى دور الحريري في الاقتصاد وعن الجهة التي استهدفته فإن الآتي من الايام وبعد ان يبرد الصلصال قليلا ويصبح بالامكان ترشيد الصدمة، سيشهد كلاما آخر، فما من خلاف حول سيرة الرجل وعصاميته المشهود لها، او حتى على دوره في وضع حد للانتحار الاهلي في بلاده لكن الخلاف قد يشتد حول قاتله، لان بناء قتل رجل بحجم الحريري للمجهول لن يكون مقبولا.

وكالعادة، فإن حادث اغتيال بهذه الجسامة لن يكون تفسيره موضع اجماع، لأن النوايا على اختلافها ستجد في هذا الاغتيال مجالا فسيحا لتجريب قراءاتها، او للاسقاطات السياسية والنفسية وهي عديدة.

لبنان الذي تحول الى امثولة في التآكل الوطني والاضراب الطائفي والقتل على الهوية لأكثر من عقدين، قرر ان يعيش وألا يكون الدم القاسم المشترك بين وجباته وفناجين قهوته، فقد فاضت المقابر، وامتلأت الذاكرات بالاشباح ويندر ان ندخل بيتاً في لبنان ولا نرى صورة بشريط أسود على جدار او طاولة.

وكنا جميعا نأمل ان يكون لبنان قد تلقح ضد الأفخاخ والكمائن، فالأمصال كانت غالية الثمن والخسائر تفوق الاحصاء، وما من احد سلم من رذاذ الدم حتى لو كان محايداً، او زاعما بأنه لا ناقة له ولا جمل!

بالطبع سيسمع اللبنانيون من مختلف الشرائح والطوائف رجاءات العرب ومواعظهم، وتذكيرهم بتلك الايام العجاف، وقد يسخر منهم من يسخر لفرط ما سمع، وقد ينكأ التذكير جراحا غفت قليلا لكنها لم تلتئم.

ان الاغتيال بحد ذاته جريمة لا تحتاج الى فقه يصنفها لأنه فعل جبان، وبإمكان أية جهة ان تمارسه اذا فقدت الكوابح، وكما يقال عادة في مناسبات كهذه فإن من يلجأ الى الاغتيال يقدم تشريعا صريحا لاصابته عندما يأزف دوره.

لقد شهد لبنان ملفا أسود يصعب ان نجد ما يماثله في تاريخ الحروب الاهلية، فلم يكن الراحل الحريري أول رئيس وزراء يغتال، فقد اغتيل في لبنان رؤساء وزارات، ووزراء ورئيس جمهورية ايضا، اضافة الى رجال دين وعلماء ومثقفين ونخبة من التكنوقراط الذين تم اصطيادهم فرادى وبلا ضجيج اعلامي، لأن معظمهم لم يكونوا ممن يشتغلون في السياسة على نحو مباشر!

ان استخدام اغتيال الحريري لتلبية رغبات سياسية أو اهداف مبيتة هو قتل آخر، وان كانت متفجراته أنكى وأشد تنكيلا من الديناميت فقد سمعنا من الاتهامات الجاهزة قبل ان تطفأ نيران الاغتيال ما يعيد الى الذاكرة ما حدث مراراً، فالاصطياد في الماء على اختلاف اوصافه مهنة تضاعف عدد المشتغلين بها هذه الايام لأن الذرائعية اندفعت الى اقصاها، كما بعثت الثأرية من اوكارها الجاهلية بثياب عصرية وبلاغة مرصعة بالمصطلحات كما لو انها حجارة كريمة فى أبنية الجص.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وما من مرة يحدث فيها اغتيال الا وتذكرنا بتلك اللوحة التي جعل من رسمها للبندقية فوهتان، واحدة باتجاه القتيل، والاخرى باتجاه القاتل، وبالرغم من قناعتنا بأهمية رفيق الحريري كرجل سياسة واقتصاد وبدوره في ايقاف نزيف الدم، والبناء على انقاض خلفتها الحرب الاهلية، الا ان ادانة الاغتيال يجب ان تنطلق من المبدأ ومن المعيار الاخلاقي الذي لا يقترح بارومتراً خاصاً يقاس به حجم الجريمة او مساحتها، فالمائة وخمسون كيلو غراما من المتفجرات، تؤدي في النهاية ما قد تؤدي اليه رصاصة واحدة او بضع رصاصات.

المفارقة في هذا الاغتيال الصادم، هو ان ضحيته لم يكن طرفا في معادلات العنف، وهو القادم الى رئاسة الوزراء في لبنان من خارج ما يسمى النادي العائلي للنخبة السياسية، وقد بكاه اصدقاء وانصار سياسيون لكن من بكوه ببراءة محررة من السياسة وغبارها هم فقراء من بلاده، علم ابناءهم، وعالج آخرين وأوجد فرص عمل كثيرة لمن افسدت اعمارهم وشبابهم البطالة المزمنة!

نكتب عن رفيق الحريري وهو لا يزال مسجى على سطح الارض ولم يدفن بعد لهذا نجد انفسنا نراوح بين طقس العزاء والعزف الخجول على الوتر المهجور الذي لا يراه من هيأ معزوفته قبل زمن، وقبل الموت، وقبل الدفن ايضا.

ان الرجل أعز من أن يستخدم الآن للتعبير عن نوايا، واغراض لا يعفّ من يتورطون بها حتى عن الموت.

وقد يصعب علي في هذه المناسبة ألا اذكر حواراً دار بين عدد من المثقفين والراحل الحريري في دارته بقريطم قبل بضع سنوات، على هامش ندوة لليونيسكو، وكانت الرافعات ورائحة الاسمنت تملأ شوارع بيروت، حول اطلال كانت ذات ربيع لبناني صدى فيروزياً اخضر، وقد سألنا عن بيروت وكيف نراها، وسمع اجابات عديدة، ملخصها ان لكل واحد منا نحن الحاضرين بيروته، للسائح بيروته وللسادر في غيبوبته السياسية بيروته وللمقاوم بيروته وللمقاول بيروته..

كان الراحل الحريري رجل سياسة واقتصاد وكان مثقفا ايضا، لهذا تعدد اغتياله ليكون تذكيرا بالكراهية في عيد الحب.

خيري منصور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية